المبحث الثاني
الثناء عليهم في السنة

لقد ورد الثناء في السنة النبوية على الصحابة رضي الله عنهم على وبوجه عام في أحاديث كثيرة مستفيضة ومتواترة، منها الصحيح ومنها الحسن ومن ذلك ما يلي:

1 - روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: صلينا مع رسول الله ﷺ. ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: **«ما زلتم هاهنا؟»** قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء قال: **«أحسنتم»** أو **«أصبتم»**، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: **«النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم، أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»** [1].

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مبيناً معنى هذا الحديث: "ويشبه أن يكون معنى هذا الخبر أن الله - جل وعلا - جعل النجوم علامة لبقاء السماء وأمنة لها عن الفناء، فإذا غارت واضمحلت أتى السماء الفناء الذي كتب عليها، وجعل الله - جل وعلا - المصطفى أمنة أصحابه من وقوع الفتن، فلما قبضه الله - جل وعلا - إلى جنته، أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا، وجعل الله أصحابه أمنة أمته من ظهور الجور فيها، فإذا مضى أصحابه أتاهم ما يوعدون من ظهور غير الحق من الجور والأباطيل"ا. هـ[2].

وقال النووي: "ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية، فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم، وتناثرت في القيامة، وهنت السماء، فانفطرت وانشقت وذهبت وقوله ﷺ : **«وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون»** أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك، قوله ﷺ : **«وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»** معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ [3].

---

(1) صحيح مسلم 196/4.

(2) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي 186/9.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم 83/16.

فهذا الحديث تضمن فضيلة الصحابة رضي الله عنهم على وجه عام، كما اشتمل على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية في الأمة، وأنهم في الأمة بمنزلة النجوم من السماء.

2 - روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يأتي على الناس زمان يغزو فئام[1] من الناس، فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون نعم: فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»** [2].

فلله ما أعظم هذا التكريم الذي حظي به أصحاب رسول الله ﷺ الذي ما كان ولم يكن لأحد سواهم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالحديث تضمن فضيلة أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم.

قال الإمام النووي: "وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم"ا. هـ[3].

3 - وروى الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "سئل رسول الله ﷺ : أي الناس خير؟ قال: **«قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته»** [4].

4 - روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم»** والله أعلم أذكر الثالث أم لا، قال: **«ثم يخلف قوم يحبون السمانة[5] ويشهدون قبل أن يستشهدوا»** [6].

5 - وروى الشيخان من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت

---

(1) الفئام: الجماعة الكثيرة، النهاية في غريب الحديث 406/3.

(2) صحيح البخاري 287/2، صحيح مسلم 1962/4، واللفظ لمسلم.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم 83/16، وانظر: عمدة القارى للعيني 180/14.

(4) صحيح البخاري 288/2، صحيح مسلم 1963/4 واللفظ لمسلم.

(5) المراد بالسمن هنا كثرة اللحم، ومعناه أنه يكثر ذلك فيهم، وليس معناه أن يتمحضوا سماناً، والمذموم منه من يستكسبه بالمأكول والمشروب الزائد على المعتاد.

(6) صحيح مسلم 1963/4 - 1964.

رسول الله ﷺ يقول: **«إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»** قال عمران: فلا أدري قال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة [1].

6 - روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟ قال: **«القرن الذي أنا فيه ثم الثاني، ثم الثالث»** [2].

فهذه الأحاديث فيها دلالة واضحة وقاطعة على أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون المفضلة وأكرمها على الله - تعالى.

قال الإمام النووي: "اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه"[3].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: **«خير أمتي قرني»** أي: أهل قرني، والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال: إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل ويطلق القرن على مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام، إلى مائة وعشرين، لكن لم أر من صرح بالسبعين، ولا بمائة وعشرة، وما عدا ذلك، فقد قال به قائل، وذكر الجوهري بين الثلاثين والثمانين، وقد وقع في حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهور، والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة، وقد سبق في صفة النبي ﷺ قوله: **«وبعثت من خير قرون بني آدم»** [4] وفي رواية بريدة عند أحمد: **«خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم»** [5].

وقد ظهر أن الذي بين البعثة، وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة، أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته ﷺ فيكون، مائة سنة أو تسعين أو سبعاً وتسعين، وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم، فإن اعتبر منها كان نحواً من

---

(1) صحيح البخاري 287/2، صحيح مسلم 1964/4.
(2) صحيح مسلم 1965/4.
(3) شرح النووي 84/16.
(4) صحيح البخاري 272/2 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(5) مسند أحمد 357/5.

خمسين، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمال أهل كل زمان، والله أعلم، واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهر البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قوله ﷺ : **«ثم يفشوا الكذب»** ظهوراً بيناً حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان، قوله: **«ثم الذين يلونهم»** أي: القرن الذي بعدهم، وهم التابعون **«ثم الذين يلونهم»** وهم أتباع التابعين، واقتضى أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث، وإلى الثاني نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر[1]، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ، أو في زمانه بأمره أو أنفق من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان، وأما من لم يقع له ذلك، فهو محل البحث، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

ثم استرسل الحافظ في ذكر أدلة ابن عبد البر على أن الأفضلية بالنسبة إلى المجموع، لا إلى الأفراد مع ذكر ما يرد عليها من الاعتراضات، ومن الأدلة التي ذكرها ما يلي:

1) قوله ﷺ : **«مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره»** وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة[2]، وأجاب عنه النووي، بما حاصله: أن المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان الذين يدركون عيسى ابن مريم عليه السلام، ويرون في زمانه من الخير والبركة، وانتظام كلمة الإسلام، ودحض كلمة الكفر، فيشتبه الحال على من شاهد ذلك أي الزمانين خير، وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله ﷺ : **«خير القرون قرني»** والله أعلم.

---

(1) وقول ابن عبد البر ليس على إطلاقه في حق جميع الصحابة، فإنه استثنى أهل بدر، والحديبية انظر: فتح الباري 7/7.

(2) سنن الترمذي 229/4، المسند 143/3

2) ما رواه ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين بإسناد حسن قال: قال رسول الله ﷺ : **«ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير – ثلاثاً – ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها»**.

3) روى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه: **«تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين»** قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: **«بل منكم»** [1] وهو شاهد لحديث: **«مثل أمتي مثل المطر»**.

4) واحتج بحديث عمر رفعه: **«أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني»**، الحديث أخرجه الطيالسي، وغيره، لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه.

5) روى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة، قال: قال أبو عبيدة: يا رسول الله، أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: **«قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني»** وإسناده حسن، وقد صححه الحاكم [2].

6) احتج بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون، أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ، وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم، قال: فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان، كما زكت أعمال أولئك، ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه: **«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»** [3]. وقد تعقب كلام ابن عبد البر، بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة، وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة، فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية، نعم والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ، وأما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة، وضبط الشرع المتلقى عنه، وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر

(1) سنن أبي داود 437/2، سنن الترمذي 323/4.
(2) المسند 106/4، سنن الدارمي 308/2.
(3) صحيح مسلم 130/1.

فضلهم، ومحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل لـه إلا مجرد المشاهدة، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان متجهاً على أن حديث: **«للعامل منهم أجر خمسين منكم»** لا يدل على أفضيلة غير الصحابة على الصحابة؛ لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وأيضاً: فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة، فلا يعدله فيها أحد فبهذه الطريق يمكن تأويل الأحاديث.

وأما حديث أبي جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية، كما تقدم ورواه بعضهم بلفظ قلنا يا رسول الله: هل من قوم أعظم منا أجراً؟، الحديث أخرجه الطبراني، وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة، وهي توافق حديث أبي ثعلبة، وقد تقدم الجواب عنه والله أعلم"[1].

والراجح من القولين ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن أفضلية الصحابة إنما هو باعتبار الأفراد، وليس بالنسبة إلى المجموع، إذ الصحبة لا يعدلها شيء، ولمشاهدتهم النبي ﷺ وذبهم عنه، ونصرة دين الإسلام، وحرصهم على ضبط الوحي الذي تلقوه عن النبي ﷺ، وتبليغهم إياه إلى من بعدهم؛ ولأن ما هنا خصلة من أعمال الخير إلا سبقوا إليها، ويكون لهم أجرها وأجر من عمل بها بعدهم إلى يوم القيامة، وبهذا برز فضلهم على من بعدهم ومن قبلهم من الأمم سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

7) ومما جاء في الثناء عليهم من السنة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : **«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»** [2]، وعند الإمام مسلم بلفظ: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ : **«لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** [3].

" فإذا كان سيف الله خالد بن الوليد وغيره ممن أسلم بعد الحديبية لا يساوي العمل

(1) فتح الباري 6/7 - 7.
(2) صحيح البخاري 292/2.
(3) صحيح مسلم 1967/4.

الكثير منهم القليل من عبد الرحمن بن عوف، وغيره ممن تقدم إسلامه، مع أن الكل تشرف بصحبته ﷺ، فكيف بمن لم يحصل له شرف الصحبة، بالنسبة إلى أولئك الأخيار، إن البون لشاسع وإن، الشقة لبعيدة فما أبعد الثرى من الثريا بل، وما أبعد الأرض السابعة عن السماء السابعة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم" [1].

قال أبو محمد بن حزم في شرحه لهذا الحديث: "فكان نصف مد شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهباً ننفقه نحن في سبيل الله تعالى بعد ذلك قال الله - تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، وهذا في الصحابة فيما بينهم، فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين"[2].

وقال حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: "والمعنى أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله، مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذي ينفقه من بعدهم" ا. هـ[3].

وقال القاضي عياض: "... وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ، وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده وفضيلة الصحبة، ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"ا. هـ[4]

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن البيضاوي في شرح الحديث المتقدم أنه قال: "معنى

---

(1) قبس من هدي الإسلام لشيخنا عبد المحسن العباد ص 92.
(2) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ص 177 لسعيد الأفغاني.
(3) معالم السنن 308/4.
(4) شرح النووي على صحيح مسلم 93/16.

الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهباً من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية"، قال الحافظ: "وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال كما وقع في الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيماً لشدة لشدة الحاجة إليه، وقلة المعتنى به بخلاف ما وقع بعد ذلك؛ لأن المسلمين كثروا بعد الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم"ا. هـ[1].

فالذي يستفاد من كلام هؤلاء الأئمة الذين قدمنا نقولهم أن الصحابة لا يدركهم أحد في فضلهم وعملهم ورضي الله عنهم أجمعين، بل إن القليل من عملهم لا يوازيه عمل غيرهم مهما بلغ من الكثرة، ومهما صاحبه من إخلاص وصدق ويقين وإيمان، وذلك فضله تعالى يؤتيه من يشاء، روى ابن بطة بالإسناد الصحيح، كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة "، وفي رواية وكيع خير من عبادة أحدكم عمره" [2].

وروى أبو داود بإسناده إلى سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه قال بعد أن ذكر العشرة المبشرين بالجنة "لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم عمره ولو عمر عمر نوح"[3] فسعيد بن زيد رضي الله عنه يريد بهذا عموم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

8) ومن الأحاديث الدالة على فضلهم وعلو منزلتهم أن النبي ﷺ بشر من رآه وآمن به واتبعه وصدقه أن له طوبى والصحابة رضي الله عنهم حازوا قصب السبق في هذا على كل أحد أتى بعدهم، فقد روى البزار والطبراني من حديث أبي عبد الرحمن الجهني، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ جلوس، إذ طلع راكبان، فقال رسول الله ﷺ :

(1) فتح الباري 34/7، وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود 413/12.
(2) منهاج السنة 154/1.
(3) سنن أبي داود 516/2.

كنديان[1] مذحجيان[2] حتى أتياه، فإذا رجلان من مذحج، قال: فدنا أحدهما ليبايعه، فلما أخذ بيده، قال: يا رسول الله، أرأيت من رآك وآمن بك واتبعك وصدقك، ماذا له قال: **«طوبى له»** قال فمسح على يده وانصرف، ثم أتاه الآخر؛ حتى أخذ بيده ليبايعه، فقال: يا رسول الله، أرأيت من آمن بك واتبعك وصدقك ماذا له، قال: **«طوبى له ثم طوبى له»** [3].

وقد أخبر تعالى أن طوبى من نصيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٩] [4]، وقد اختلف علماء السلف في المراد: **«بطوبى»** فقد أخرج ابن جرير الطبري بإسناده إلى ابن عباس أنها: شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها، أغصانها من وراء سور الجنة" [5].

قال ابن كثير: "وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس ومغيث ابن سمي وأبي إسحاق السبيعي وغير واحد من السلف أن طوبى شجرة في الجنة في كل دار غصن منها" [6].

وقيل: إن **«طوبى»** اسم من أسماء الجنة: وعلى هذا يكون المعنى الجنة لهم [7].

والمراد بها والله أعلم في هذا الحديث المتقدم أنها "الجنة".

9) دعا عليه الصلاة والسلام لسامعي سنته، ومبلغيها بالنضرة والرحمة، والصحابة رضي الله عنهم يدخلون في هذه الدعوة المباركة الميمونة دخولاً أولياً لأنهم هم الذين سمعوا سنته مباشرة ودون واسطة، ووعوها، وأدوها إلى من بعدهم، وهذه خصيصة لهم؛ رضي الله عنهم تميزوا بها دون غيرهم، فرضوان الله عليهم أجمعين، وتلك الدعوة التي كان لهم فيها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر هي قوله ﷺ : **«نضر الله امرأً سمع منا**

(1) كندة: بالكسر بخلاف كندة باليمن اسم لقبيلة. معجم البلدان 482/4.
(2) مذحج: قبيلة من قبائل العرب وهم: ولد أدد بن زيد بن يشجب مرة أنظر: معجم البلدان 88/5.
(3) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد 18/10 وقال: إسناده حسن وذكره الحافظ في الإصابة 127/4.
(4) سورة الرعد آية/29.
(5) جامع البيان 147/13.
(6) تفسير القرآن العظيم 89/4.
(7) انظر: جامع البيان 146/13، وتفسير ابن كثير 89/4.

حديثاً، فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه» [1] وفي لفظ آخر **«رحم الله من سمع مني حديثاً، فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من له من سامع»** [2].

قال الخطابي رحمه الله تعالى: " معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة" ا. هـ[3].

وقال ابن الأثير في كتابه "النهاية في غريب الحديث"، ويروى بالتخفيف والتشديد من النضارة وهي في الأصل حسن الوجه، والبريق وإنما أراد حسن خلقه وقدره" ا. هـ[4].

وقال الحافظ المنذري في كتابه "الترغيب والترهيب ": ومعناه الدعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة والحسن، فيكون تقديره: جمله الله وزينه وقيل غير ذلك " [5].

وقال أبو بكر بن العربي: "والنضرة هي النعمة والبهاء يكون على الوجه" ا. هـ[6].

وقال الملا علي القاري في كتابه "المرقاة": " والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته عن القدر، والمنزلة بين الناس في الدنيا، ونعمه في الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء والنعمة، ثم قيل: إنه إخبار يعني جعله ذا نضرة، وقيل: دعاء له بالنضرة، وهي البهجة والبهاء في الوجه من أثر النعمة، وقيل: المراد ههنا النضرة من حيث الجاه والقدر، كما جاء: **«اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه»** أي: ذوي

---

(1) سنن أبي داود 289/2 من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في "الإحسان بترتيب ابن حبان" 226/1 من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وانظر: سنن ابن ماجه 1316/2، والمسند 437/1، سنن الدارمي 75/1 وهذا الحديث قد أفرده شيخنا عبد المحسن بن حمد العباد بدراسة مستقلة اشتملت على بيان طرقه، وألفاظه ودراسة الحديث من حيث الدراية وبين أن هذا الحديث متواتر عن النبي ﷺ، رواه أربعة وعشرون صحابياً، خرجه سبعة وثلاثون إماماً خرج في أكثر من خمسة وأربعين كتاباً، وبلغت طرقه سبعة وخمسين طريقاً، ومائة طريق. انظر: كتاب دراسة حديث: **«نضر الله امرأ سمع مقالتي»** رواية ودراية للشيخ عبد المحسن العباد ص/227.

(3) معالم السنن 187/4، وانظر: جامع الأصول لابن الأثير 118/9.

(4) النهاية 71/5.

(5) الترغيب والترهيب 108/1.

(6) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي 124/10.

الأقدار من الناس، ثم قال القاري: لا مانع من الجميع، والإخبار أولى من الدعاء.. "ا. هـ[1].

" وما ذكره القاري من اعتبار سائر المعاني التي فسر بها لفظ النضارة وعدم تخصيصه بواحد منها حسن وجيه، ويكون المراد بالنضارة بالحديث، جمله الله وزينه، بما يظهر على وجهه من البهاء والحسن، وأوصله الله إلى نضرة الجنة ونعيمها، وكذا النضرة من حيث الجاه والقدر ويكون اختلاف الأقوال في ذلك، وتفسير الحديث ببعض هذه المعاني من قبيل اختلاف التضاد، فإن من فسره بواحد منها لا ينفي كون غيره مراداً، وإنما هو من قبيل تفسير الشيء بما يوضحه كالتفسير بالمثال"ا. هـ[2].

وتلك الدعوة التي قدمنا شرحها بما يوضح المراد منها بأقوال أهل العلم، كان لأصحاب رسول الله ﷺ منها القسط الأكبر والحظ الأوفر؛ لأنهم هم الذين تلقوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهما المصدران اللذان اشتملا على الهدى والنور، والصحابة رضي الله عنهم هم الذين تلقوا هذا الخير وهذا النور، وهذا الهدى وأدوه إلى من بعدهم، فكل إنسان يأتي بعدهم فلهم عليه منة، ولهم عليه فضل؛ لأن هذا الهدى وهذا الخير الذي حصل لم يحصل إلا بواسطتهم رضي الله عنهم، فكل من استفاد منه فلهم مثل أجره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إذ أنه قد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«من دعا إلى هدى كان لـــه من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»** [3] وقبلهم رضي الله عنهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الذي جاء بهذا الخير، وهذا الهدى، فكل من اهتدى، وكل من استفاد وكل من دخل في دين الله، وعمل صالحاً، فإن الله يثيب نبيه ﷺ بمثل ما يثيب به ذلك العامل من غير أن ينقص من أجر العامل شيء؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو الذي دعا الناس إلى هذا الهدى، فله مثل أجور كل من استفاد خيراً بسببه، والصحابة رضي الله عنهم هم الصلة الوثيقة التي تربط المسلمين بنبيهم ﷺ، فهم الذين جمعوا القرآن وهم الذين حفظوه، وهم الذين أوصلوه إلى من بعدهم، وهم الذين تلقوا السنة وأدوها إلى من بعدهم، فصار لهم الثواب

(1) المرقاة شرح المشكاة 236/1.
(2) انظر: كتاب "دراسة حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي رواية ودراية" ص/184 - 185.
(3) رواه مسلم في صحيحه 2060/4 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الجزيل والأجر العظيم، ولقد شرفهم الله في الحياة الدنيا بالنظر إلى طلعة سيد الأولين والآخرين، كما شرفهم بسماعهم كلامه من فمه الشريف ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، فالذي يطعن في أولئك الأخيار، وأولئك الأسلاف فقد عمد إلى قطع الصلة بينه وبين رسول الله ﷺ، وكفى بذلك ضلالاً وخذلاناً والعياذ بالله تعالى.

والحاصل أن الأحاديث الواردة في فضلهم كثيرة وشهيرة بل متواترة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعض الأحاديث المتقدم ذكرها: "وهذه الأحاديث مستفيضة، بل متواترة في فضائل الصحابة، والثناء عليهم، وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون، والقدح فيهم قدح في القرآن والسنة"ا. هـ[1].

وهو كما قال رحمه الله تعالى، بل إن القادح في الكتاب والسنة لا حظ له في الإسلام، وهذا حال الرافضة، فإنهم طعنوا في الكتاب والسنة عن طريق القدح في الصحابة رضي الله عنهم إذ هم نقلة هذا الدين إلى من بعدهم، والطعن في الصحابة أيضاً: طعن في الرسول ﷺ، كما قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين[2].

والذي يعتقد هذا هو من أبخس الناس حظاً في الدنيا والآخرة، وقد تبنى هذا المعتقد الفاسد الشيعة والخوارج، "فإن الشيعة يفضلون أنفسهم، وهم شر خلق الله تعالى على أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا علياً والحسن والحسين وعمار بن ياسر، والخوارج يفضلون أنفسهم - وهم شر خلق الله وكلاب النار - على عثمان - وعلي وطلحة والزبير - ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسوله"[3] عليه الصلاة والسلام في أن الصحابة رضي الله عنهم هم صفوة الأمة المحمدية وسادتها على الإطلاق، ولنأت الآن ما جاء من ذكر بعض الثناء عليهم رضي الله عنهم في كلام السلف.

---

(1) مجموع الفتاوى 430/4.

(2) مجموع الفتاوى 429/4.

(3) انظر: "ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة" ص/178.

* * * * *